العمارة بشكل مختلف: بناء بنية مدنية لمستقبل جماعي

شهدت المدن وأنماط العيش فيها تحوّلات جذرية خلال العقود القليلة الماضية. فالحدود الواضحة التي لطالما رسمت معالم الفضاء الحضري أصبحت اليوم غائمة وتتمدد إلى مساحات لم نكن لنتخيلها من قبل. تمتد تلك الحدود اليوم عبر الثقافات والمجتمعات المحلية، وتتجاوز الحدود الوطنية وشؤون الدولة القومية، وتصل إلى العوالم الرقمية والافتراضية. تمثل هذه التحوّلات حافزاً جديداً للتوسّع الحضري، كما تطرح طرقاً مختلفة لفهم ماهية ما هو مديني، ليس من وجهة البُنى التحتية المادية للمدينة فحسب، بل أيضاً عبر الأجهزة المحمولة والاستهلاك الرقمي وما ينتجه من أنساق اجتماعية.

بات التوسع الحضري اليوم سمة شاملة للتجربة البشرية بأوجهها كافة، وثمة قليل من بقاع الأرض لم تتأثر به. هذا بينما تتقاطع القوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية والبيئية في خضم نسيج متشابك يتحكم في حركتنا وعملنا وتواصلنا، والتي تتردد آثار تحولاتها عبر هذه الشبكة العالمية لتزعزع الأشكال التقليدية للانتماء. في عالم دائم الحركة — حركة الناس والبضائع والأفكار والكائنات، تغدو المناطق الحضرية ساحة أساسية لإعادة بناء الجماعة البشرية والبحث عن استقرارها ورأب هشاشة مستقبلها المشترك.

في خضم هذا المشهد المتغير — حيث ترتبط التجمعات السكانية بروابط واهية من شبكات بنى تحتية عملاقة تبزغ في أماكن وتتداعى في أماكن أخرى غيرها، أي دور يمكن للعمارة أن تلعبه؟ حين تتهاوى التعريفات الجاهزة والتصورات المطلقة، كيف يمكن للعمارة فتح مسارات جديدة للارتباط والتواصل؟

تتقيد الممارسة المعمارية السائدة بأطر مهنية معيارية، منصرفة في كثير من الأحيان إلى إنتاج صروح استعراضية أو تقديم حلول منبتة الصلة عن السياق لمشكلات معقدة تستوجب معالجة محلية دقيقة. يتطلب عالمنا المضطرب نهجاً مغايراً يعيد تصور العمران من خلال قيم الترابط والضيافة والرعاية؛ ينتج فضاءات للحياة المشتركة والتواشج الاجتماعي وإمكانية العيش المشترك، ما من شأنه أن ييسر سبل العيش والازدهار، لا أن يفرض قوالب شكلية عليه.

لمواجهة هذه التحديات، تتبنّى الدورة الثالثة من ترينالي الشارقة للعمارة مقاربة متعددة التخصصات، تستكشف العمارة من خلال عدسة الأنثروبولوجيا: كممارسة تنطلق من أهمية العلاقات الإنسانية والحياة اليومية والسياقات الثقافية. تفتح هذه المقاربة المجال أمام العمارة نحو أشكال أعمق من التواصل والارتباط المتجذر في الواقع المحلي، والمنفتح في الوقت ذاته على الظروف العالمية. لكي نصوغ مستقبلاً ذا معنى، لا بد لنا أن نعمل بشكل جماعي انطلاقاً من تاريخنا الإقليمي على أن نبقى منفتحين على الاختلاف. فبدلاً من اتباع نهج "العمارة السائدة"، لا بد وأن نمارس **العمارة بشكل مختلف**.

تضع "**العمارة بشكل مختلف**" فعاليات الترينالي ضمن نسيج الحياة اليومية في إمارة الشارقة، إذ تمثل فضاءاً للتفكر يوسع آفاق المؤثرين ويمنح المهمشين صوتاً ومساحة للتعبير والمشاركة. تسهم هذه الدورة بشكل مباشر في مسيرة البحث والتجريب المستمرة التي يقودها الترينالي، بما يعزز الحوار بين التصميم والتفكير الاجتماعي ويزيده تقارباً. بالشراكة مع المؤسسات

الثقافية والخبراء في مجالات البيئة المبنية ومجتمعات الخليج والجنوب العالمي، تتناول هذه الدورة تجليات التوسع الحضري وتفاعلاته في السياقات المختلفة.

ومع تأملنا لهذه التحولات، سنعيد النظر أيضاً في الأدوار المتغيرة للفن والتصميم والعمارة. سنعمل مع ممارسين محليين وعالميين على تنظيم إقامات فنية وأعمال تجهيز فني وعروض أدائية ومعارض وفعاليات للسرد القصصي. ومن خلال الرسم والبناء والإدلاء والإصغاء والتجمع سنفتح فضاءات جديدة للعمل، نستكشف فيها مكانة العمارة وإمكاناتها في عالم شديد المدينية.